



محمود حسين عيسى - مصر



* سائرة على الدرب

عاد خالد إلى حضن أمه في وقت متأخر من الليل كي يبرها، ويطمئن عليها، ويطمئنها عليه، ويروي ظمأ شوقه إليها، فهو غائب عنها منذ بدأت الحرب التي دخلت يومها الثامن عشر، وهو اليوم السابق للهجوم البري الذي حدده الصهاينة المحتلون، وكان قائده في الميدان قد أخبره منذ يومين أنه مع بدء المعركة البرية سيكلف بمهمات جديدة، حدها لاحقاً: قيادة إحدى مجموعات "الاستشهاديون الأشباح" ١.. ولعرفة خالد بتبعات هذه المهمة ألح على قائده أن يسمح له بزيارة أمه

فلم يعد لها غيره بعد استشهاد والده - الذي اغتالته يد الغدر الصهيونية داخل سيارته في غارة آتمة شاركهم فيها دليل خسيس يحمل اسماً من أسمائنا، ويتحدث بلساننا، ولحق به إخوته الثلاثة تبعاً في عمليات استشهادية - فسمح له قائده بزيارتها: لساعات معدودة.. وبعد أن أجاب خالد عن أسئلة أمه التي انهمرت عليه كالطرر، وأجابته بدورها عن حالها.. استأذنها أن يغفو لحظات فهو يشعر بإرهاق شديد يسيطر على جسده بعد يوم طويل من القتال، وطلب منها إيقاظه

قبل أذان الفجر بساعة ليدرك صلاة قيام الليل، ودعاء السحر خوفاً من أن يغلبه النوم وتفوته عبادة اعتادها تقرباً إلى الله سبحانه، ثم براً بأبيه الشهيد الذي عوّده عليها، وأوصاه بها منذ أن بلغ الحلم..

وما إن استقبلت رأسه الوسادة حتى غط في نوم عميق. وقفت أمه تنظر إليه، وتنتظر إلى الفراغ بجانبه، فترى أخاه أحمد، وتلفتت إلى سرير عمر وعلي فلا تجد سوى ملأة بيضاء، انحدرت دمعة حارة ألهمت خدها، ذهبت لغرفة بناتها الأربع لتطمئن عليهن بعد هلعن من أصوات الانفجارات المتواصلة آناء الليل والنهار.. ثم دخلت غرفتها تبحث عن رفيق عمرها.. عن حصنها.. لم تسمع سوى همساته التي لم تنقطع يوماً: اصبري فإن موعدنا الجنة.. رددت في صمت: اللهم قو ظهري.. أصبر وأحتسب.. إن موعدنا الجنة.

* (القصة الفائزة بالمركز الأول في مسابقة القصة القصيرة التي أقامها المكتب الإقليمي للرابطة بالسعودية بمناسبة القدس عاصمة

الثقافة العربية ٢٠٠٩م)



همت بإعداد وجبة لخالد يتقوى بها على مشاق القتال.

وما هي إلا لحظات حتى شق سكون الليل صوت غارة أئمة لم تستطع أن توقظ خالداً... وبعد أن عاد الهدوء المؤقت.. وفي أثناء انشغالها بإعداد الوجبة شق صوت خالد سكون الليل بصيحات متتالية: سمعاً وطاعة يا أبي..! سمعاً وطاعة يا أبي..!

هرولت أمه مهللة، ومكبرة: لا إله إلا الله.. الله أكبر..

ناولته كوب الماء ثم سألتها: ماذا بك يا ولدي؟

نهض خالد من فراشه وجلس بجوارها.. تناول ثلاث رشقات من كوب الماء.. فدعت له: هنيئاً مريئاً.. - هيا قل لي: ماذا بك؟ وما جعلك تصيح: سمعاً وطاعة يا أبي؟ - قال خالد:

رأيت أبي في منامي في صورة غير الصورة التي اعتدته عليها، فوجهه يشع منه الضياء، وترسم على ثغره ابتسامة رضا، ويلبس ثوباً أخضر سندسياً، ويجلس على أريكة من الذهب، وتحيطه نساء لم ير في حسنهن مثيل، ويطوف حوله غلمان بأنية من ذهب، وأمامه ما لذ وطاب من فاكهة وطعام، وجدران القصر وسقفه من الذهب والفضة..!

دارت عيناي في كل مكان..! رددت في دهشة: لم أر مثل هذا النعيم.. ولم أسمع به.. بل لم يخطر

على بالي من قبل!!

تساءلت: أين أنا؟

نظرت إلى أبي علّه يجيبني ويزيل آثار دهشتي..! أجابني بنظرة ملؤها الحب والحنان حلقت بي في أجواء نظرات ومشاعر مشابهة كان يغمرني بها من قبل..! ولكن سرعان ما تبدلت هذه النظرة الحانية بنظرة حادة حدقت فيها عينه في عيني..!

تساءلت في نفسي: ماذا حدث؟ وماذا يريد أن يقول لي؟

لم أنتظر كثيراً حتى جاءني رد أبي: انتظرتك كثيراً. حياتك الحقيقية هنا، دمي لا زال يقطر..

وبعد أن فرغ خالد من قص ما رأى في منامه.. تهلل وجه أمه بالبشر.. قائلة:

الحمد لله، إن شاء الله أبوك في الجنة.. وندعو الله أن يلحقنا به..

وما لبثت أن تساقطت دموعها وملاً وجهها الحزن..!

خالد: ماذا حدث أمه؟ لماذا انقلب فرحك حزناً؟ ألم تشجعيني على الالتحاق بالمقاومة بعد استشهاد أبي استعداداً لمثل هذا اليوم الذي نتظره لنسترد أرضنا من الغاصب المحتل، ألم أحفظ عن ظهر قلب منذ الصغر مقولتك: أرضك عرضك..؟ ألم تغرسي في أن أرض فلسطين وقف لكل المسلمين، وأننا نحن المرابطون - بإذن الله - الذين بشر بهم رسول الله ﷺ؟

بكت أم خالد.. انتحبت..

مسح خالد دموعها.. قبل يديها. واستطرد قائلاً: أماه لكل أجل كتاب.. وإن الموت يدركنا ولو كنا في بروج مشيدة.. والله تعالى يقول: ﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ...﴾ (النساء) وإن شاء الله سيكون النصر، وساعتها أعود إليك وأرتمي في حضنك، وإن كانت الشهادة فسأنتظرك مع أبي.

صمتت.. سبّح خيالها في فضاءات غائمة.. خيوطها متشابكة.. شعرت بألم في صدرها.. خفق قلبها.. اشتاقت إلى شريك حياتها.. ازداد الخفقان.. كاد قلبها يتوقف عن النبض حزناً على فراق محتمل لبكرها، وسندها، وفلذة كبدها..

شعر خالد بمعاناتها، ترفق بها..!

تبادلا حواراً صامتاً..!

خالد: أماه هونّي على نفسك، أعلم أنك في أشد الحاجة إليّ، ولكنها الحرب وواجب الجهاد، وإن بقيت معك في البيت فقد يأتينا الموت أيضاً.. فهو يحاصرنا من كل مكان..!

الأم (تقاطعه): قد ننجو منه مع الناجين.. هم البنات كبير.. أحتاجك بجواري.

خالد (يطمئنئها): لن يضيعنا الله فهو خير السند.. وخير المعين،

ثلاثة، وطارد الآخرين الذين ألقوا سلاحهم أرضاً، وفروا يصرخون، فلقق بأحدهم وأسرهم، وجره عائداً إلى خندقه، فجاءت طائرات العدو مركزة قصفها على المنطقة بأكملها، فأصاب صاروخ خندق خالد فقضى شهيدا، وتمزق جسد الجندي الصهيوني شر ممزق..

على تنفيذ هذا العزم بسلاح الدعاء أن يحقق الله على يديه وإخوانه النصر، وأن يلحقه بالشهداء، وأن يجمعه بأبيه وإخوته في جنات النعيم، وأن يخلفه - سبحانه - في أمه وإخوته. ولم يزل لسانه رطباً بذكر الله، لهجاً بالدعاء.. حتى جاءت ساعة النزال.. ليلة اليوم الرابع من المراقبة.. رأى

وهو الحافظ ذو القوة المتين. عادت الأم إلى صمتها.. دفنت وجهها في راحتها.. لمحت خيوطا ذهبية تصارع سواد الأفق..! تخترقه.. ينفذ الأفق عتمته.. تبسط الشمس نورها.. ربت خالد على كتفها، فضمته إليها، وارتسمت ابتسامة أمل على شفيتها.. قبل جبهتها. ودعت الله بالنصر..



انطلق خالد حاملاً فؤاد أمه معه، وانضم إلى مجموعته، واستمع إلى تعليمات قائده: خالد..! عليك بالمراقبة في هذا الكمين.. لا تخرج منه إلا تنفيذاً لتعليمات أخرى عبر جهاز اللاسلكي.

حمل خالد سلاحه، وطعامه بعضاً من تمر وماء، واستقر في خندقه الذي بقي فيه وحيداً

لثلاثة أيام، ينتظر ملاقات أعداء الله الصهاينة المحتلين ليثار لأبيه، وإخوته وإخوانه الشهداء، وليحرر وطنه من رجس أحفاد القردة والخنازير.

كان الشوق يملؤه لهذا النزال الذي انتظره كثيراً، فكان يخالجه شعور سيطر عليه منذ أن رأى أباه في المنام، أنه سيلحق به - إن شاء الله - في هذه المعركة، فعزم أن يري الله من نفسه خيراً بإنزال أكبر قدر من الخسائر في صفوف العدو.. فاستعان

رهطاً من جنود الاحتلال يمشون مذعورين كالفران، يلتفتون يمنة ويسرة، يطلقون رصاصاتهم ضد الريح، ولم يرحم أحدهم (هرة) صغيرة أفزعه مواؤها المفاجئ فأفرغ فيها رصاصات بندقيته..

قرر خالد تركهم يقتربون من موقعه ليقضي عليهم جميعاً، أو على الأقل على أغلبهم، وما إن اقتربوا حتى فاجأهم، وبدأ في الاشتباك معهم، فقتل أربعة منهم، وأصاب

ومع انتهاء الغارة هرع قائد خالد وإخوانه القريبون من موقعه إليه، وجمعوا أشلاءه، وهم يحتسبون عند الله، ويقبلون جبهته.. أرسل القائد اثنين من إخوانه المقاتلين ليخبروا أمه باستشهاده. فرددت: إنا لله وإنا إليه راجعون.. إنا لله وإنا إليه راجعون..

وأردفت بصوت مسموع بين الفرح والحزن: فازوا بإحدى الحسنيين.. وأنا على دربهم سائرة ■

